إلىٰ الله أَشْكُو غُرْبَتي!!

وأما خبيب بن عدي رضي الله عنه ، فقد اشتراه حجير بن أبي أهاب ، لأخيه من أمه عقبة بن نوفل ليقتله بأبيه! .

وقد حبسوا خبيباً عند ماوية مولاة حجير ، ولما أسلمت ماوية ، روت قصة خبيب ، فقالت: كان خبيب قد حُبس في بيتي ، ولقد اطّلعتُ عليه يوماً ، وإن في يده لقطفاً من عنب[1] ، مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل يومئذٍ. وقال لي خبيب حين حضره القتل: ابعثي إليّ بحديدة أتطهّر[2] بها للقتل ، فأعطيتُ ولدي وهو صغير الموسىٰ.

فقلتُ: ادخل بها علىٰ هذا الرجل البيت ، فوالله ما هو إلاّ أن ولّىٰ الغلام بها إليه ، حتىٰ قلت في نفسي: ماذا صنعت؟ أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ، ويكون رجلاً برجل! ، فلما ناوله الحديدة ، أخذها خبيب من يده ، ثم قال له:

لعمرك ما خافت أمك غدري ، حين بعثتك بهذه الحديدة إليّ ، ثم خلّىٰ سبيله! .

ثم خرجوا به إلىٰ التنعيم ليصلبوه ، فقال لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتىٰ أركع ركعتين ، فافعلوا ، فقالوا: دونك فاركع ، فركع خبيب ركعتين ، ثم أقبل علىٰ القوم ، فقال: أما والله لولا أن تظنّوا أني إنما طوّلت في صلاتي جزعاً من القتل ، لاستكثرت من الصلاة. ثم رفعوه علىٰ خشبة ، فلما أوثقوه قال:

---

(١) أي: عنقوداً من العنب.

(٢) أي: موسىٰ لأحلق وأتزيّن.

اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلّغه الغداة ما يُصنع بنا ، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحداً ، ثم أنشد:

لقد جمّع الأحزب حولي وألّبوا ... قبائلهم واستجمعوا كلّ مجمعِ
وكلّهم مُبْدي العداوة جاهد ... عليّ لأني في وثاقٍ بمضيعِ
وقد جمّعوا أبناءهم ونساءهم ... وقُرّبتُ من جذعٍ طويلٍ مُمنّعِ
إلىٰ الله أشكو غُربتي ثم كربتي ... وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي
فذا العرش صبّرني علىٰ ما يُراد بي ... فقد بضعوا لحمي وقد ياسَ مطمعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك علىٰ أوصال شلوٍ مُمزّعِ
وقد خيّروني الكفر والموتُ دونهُ ... وقد هملتْ عيناي من غير مجزعِ
وما بي حذار الموت، إني لميّتٌ ... ولكن حذاري جحم نارٍ مُلفّعِ
فلستُ أبالي حين أُقتل مسلماً ... على أيّ جنبٍ كان في الله مصرعي
ولستُ بُمبْدٍ للعدوٍ تخشّعاً ... ولا جزعاً إني إلىٰ الله مرجعي[1]

هكذا كان الصحابة الأكارم مع الرسول ﷺ ، ولذلك سعدوا في الدنيا علىٰ الرغم من كل المصاعب والجراحات ، وفازوا في الآخرة بجنان الله تعالىٰ ، ورضوانه.

* * *

(١) صحيح البخاري: ٤/ ٨٣ ، تاريخ الطبري: ٣/ ١٤٣٥ ، سيرة ابن هشام: ٣/ ١٨٦.